

الأخلاق في القرآن فروع المسائل الأخلاقية

[248] حصلها ، وأن يقطع □ هذه الأسباب عن مسبباتها". ثم "يضيف قائلاً : "وليس معنى التوكل - كما يظنه الحمقى - أنَّهُ ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب، والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة واللحم على الوض، فإنَّ ذلك جهل محض، وهو حرام في الشرع، فإنَّ الإنسان مكلف بطلب الرزق بالأسباب الَّتِي هداه □ إليها من زراعة أو تجارة أو صناعة أو غير ذلك ممَّا أحلَّهُ □" (1). ونقرأ في (المحجَّة البيضاء) في بحث حقيقة التوكلِّ قوله : "إعلم أنَّ التوكلَّ من أبواب الإيمان وجميع أبواب الايمان لا تنتظم إلاَّ بعلم وحال وعمل والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الأصل، ومن عمل هو الثمرة، وحال هو المراد باسم التوكلِّ". ثمَّ يشرع بذكر بعض التفاصيل عن عنصر العلم الَّذِي يمثل الأساس للتوكل، وبعد بيان مطول يصل إلى ذكر حقيقة التوكل الَّتِي هي عبارة عن الأساس الَّذِي يبتني التوكل عليه، وحاصله أن ينكشف لك أن لا فاعل إلاَّ □، وأن كلَّ موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وفقر إلى غير ذلك فالمنفرد بابداعه واختراعه هو □ تعالى لا شريك له، وإذا انكشف لك هذا لم تنظر إلى غيره بل كان منه خوفك وإليه رجاؤك وبه ثقتك وعليه اتكالك فإنه الفاعل على الانفراد دون غيره، وما سواه مسخَّرون لا استقلال لهم بتحريك ذرَّة في ملكوت السماوات والأرض" (2). وقد ورد في الحديث الشريف عن النبي الأكرم (صلى □ عليه وآله) عندما سُئِلَ : "مَا التَّوَكُّلُ عِلَايَ □ عَزَّ وَجَلَّ ؟ فَقَالَ (صلى □ عليه وآله) : الْعِلْمُ بِإِنَّ □ الْمَخْلُوقَ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْدَفَعُ وَلَا يُعْطَى وَلَا يَمْنَعُ وَإِسْتِعْمَالُ الْيَأْسِ مِنَ الْخَلْقِ". ثمَّ قال (صلى □ عليه وآله) : "فَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ كَذَلِكَ لَمْ يَعْمَلْ لِاحْدَ سِوَى □ وَلَمْ يَرْجُ وَلَمْ يَخَفْ سِوَى □، وَلَمْ يَطْمَعْ فِي احْدَ سِوَى □، فَهَذَا هُوَ التَّوَكُّلُ" (3). 1. أخلاق شبر، ص 275 مع التلخيص. 2. المحجة البيضاء، ج 7، ص 273. 3. بحار الأنوار، ج 68، ص 138، ح 23.